بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ أعداء الإسلام منذ الفجر الأوَّل لظهور هذه الرِّسالة المباركة، وهم يخطِّطون ويكيدون لضرب المسلمين في أصل عقيدتهم؛ وهذا بالتَّحريف أو التَّبديل، وإثارة الفتن ببثِّ الشُّبهات المضلَّة الَّتي حادت بالكثير منهم عن صراط الله المستقيم، وهدي نبيِّه القويم، فدبَّت بينهم الفرقة كما دبَّت فيمن قبلهم «أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّة، وَإِنَّ هَذِهِ المِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ وَهِيَ الجَمَاعَةُ، وَإِنَّه سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»[1].

ومن أخطر ما ابتليت به الأمَّة في بداية عهدها: اندساس بعض الحاقدين من اليهود في صفوفها لإحداث الفتنة وتمزيق كيان الأمَّة.

وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ اليهودي الَّذي انتدبه اليهود ليكون معوَل هدم وسبب فساد لجماعة المسلمين؛ فأحدث القول بوصيَّة النَّبيِّ أ لعليٍّ Ê ، وأنَّه خليفة النَّبيِّ أ ووصيُّه من بعده، وعلى هذا ينبغي إرجاع الحقِّ إلى أصله، حتَّى أدَّت فتنته إلى مقتل الخليفة الرَّاشد عثمان بن عفَّان Ê ، وحتَّى بعد أن انتقل الأمر إلى عليٍّ Ê بمبايعة الصَّحابة له، وقعت الفتنة العظيمة، وظهرت نبوَّة من نبوَّات النَّبيِّ أ بمروق المارقة الَّتي قال فيها أ : «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالحَقِّ»[2].
وهكذا ظهرت بدعة الخوارج الَّتي تزامن معها بدعة التَّشيُّع.

هذا؛ لنعلم أنَّ أصل الانحراف العقدي عند هؤلاء الفرق، ما كان من اليهوديَّة والدِّيانات الوثنيَّة بعد توسُّع الفتوحات الإسلاميَّة،

(1) رواه أبو داود (4697) وصحَّحه الألباني، من حديث معاوية Ê .
(2) رواه مسلم (1064).



ودخول أتباع هذه الدِّيانات الإسلام بشيءٍ من بقايا عقائدهم، إضافةً إلى ما ابتليت به الأمَّة من الشَّرِّ العظيم بعد ترجمة كتب الفلسفة اليونانيَّة، وافتتان البعض بها.

وأصل التَّشيُّع بدأ بانحراف عقديٍّ؛ في مسألة الإمامة وما تعلَّق بها من مفهوم العصمة، وما تفرَّع عن هذا وذاك من اتِّساع الخلاف بينهم وبين أهل السُّنَّة في أصول المسائل، لا في فروعها كما يدَّعيه بعض الجاهلين بحقيقة القوم، الغافلين عن خططهم ومكرهم وخداعهم.

بل إنَّ الخلاف في الأصل الأوَّل من مصادر التَّشريع؛ القرآن، والادِّعاء بتحريفه.

ثمَّ الخلاف في الأصل الثَّاني؛ السُّنَّة الَّتي رواها ونقلها لنا الرُّواة العدول من هذه الأمَّة، والشِّيعة بنوْا دينهم على الطَّعن في خيرة الصَّحابة وكبارهم، إضافة إلى الكثير من المسائل الأخرى المتعلِّقة بالإيمان ومسائله، وغيرها ممَّا يتعلَّق بأصل الاعتقاد، إلاَّ أنَّني سأحصر كلامي في هذا المقال في بيان الشِّركيَّات الَّتي مُلئت بها عقيدتهم ـ سواء ما تعلَّق بشركهم في الألوهيَّة أم في الرُّبوبيَّة..

**شركهم في الربوبية:**

من أشنع ما يعتقدون في هذا الباب، زعمهم أنَّ الدُّنيا والآخرة كلَّها للإمام؛ يتصرَّف بها كيف يشاء!

جاء في «أصول الكافي» ـ وهو أعظم كتبهم ـ: «بابٌ إنَّ الأرض كلَّها للإمام».

**أما في شرك الألوهية:**

❑ فقد جاءوا بالطَّامَّات، بل حرَّفوا النُّصوص المتعلِّقة بالعبادة والشِّرك، «فالنُّصوص القرآنيَّة الَّتي تأمر بعبادة الله وحده غيَّروا



معناها إلى الإيمان بإمامة عليٍّ والأئمَّة، والنُّصوص الَّتي تنهى عن الشِّرك جعلوا المقصود بها الشِّرك في ولاية الأئمَّة».

فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: 65]، جاء في «أصول الكافي»: «يعني إن أشركت في الولاية غيره»[3].

❑ اعتقادهم أنَّ الأئمَّة واسطة بين الله وبين الخلق، ولا يقبل الدُّعاء إلاَّ بأسماء الأئمَّة، وأجازوا الاستغاثة بهم، جاء في «أصول الكافي»[4]: «بابٌ إنَّ الأئمَّة خلفاء الله في أرضه وأبوابه الَّتي منها يؤتى».

وروي عن أبي عبد الله قال: «كان أمير المؤمنين باب الله الَّذي لا يؤتى إلاَّ منه، وسبيله الَّذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمَّة الهدى واحدًا بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها»[5].

وجاء في كتاب «الاعتقادات» لابن بابويه (96): «إنَّهم أبواب الله والسَّبيل إليه والأدلاَّء إليه، ومفسِّرو وحيه، ومستودع علمه».

وللمجلسي[6] بابٌ بعنوان: «باب إنَّ النَّاس لا يهتدون إلاَّ بهم، وأنَّهم الوسائل بينه وبين الله، وأنَّه لا يدخل الجنَّة إلاَّ من عرفهم».

وقال أيضًا[7]: «فإنَّهم حجب الرَّبِّ، والوسائط بينه وبين الخلق».

بل يفترون مثل هذا على عليٍّ Ê ، كما جاء في «شرح نهج

(3) «أصول الكافي» (427/1)، «تفسير القمِّي» (251/2).
(4) (193/1).
(5) «أصول الكافي» (252/1).
(6) «بحار الأنوار» (97/23).
(7) «بحار الأنوار» (97/23).



البلاغة»[8] من قول عليٍّ: «...وليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى هو الَّذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والنَّاس بأسرهم صنائعنا، فنحن الواسطة بينهم وبين الله».

هذا قليل من نصوصهم الكثيرة الَّتي سوِّدت بها كتبهم ومراجعهم المعتمدة، من اعتقادهم في الأئمَّة أنَّهم الواسطة بينهم وبين الله، وقد التزموا بهذه العقيدة، فإذا توسَّلوا؛ توسَّلوا بذوات الأئمَّة، وطلبوا الحاجات من الأموات، لذا تجدهم يعظِّمون القبور ويستغيثون بأصحابها، ويحجُّون إليها تعظيمًا لها.

ودعوى الواسطة دعوى شركيَّة وثنيَّة.

❑ من شركهم كذلك: اعتقادهم جواز التَّوسُّل بالذَّوات وطلب الحاجة من الأموات، بل بلغت جرأتهم في هذا الباب اعتقادهم أنَّ الله إنَّما استجاب لدعوة أنبيائه بتوسُّلهم بأئمَّتهم، جاء في «بحار الأنوار»[9]: «إنَّ دعاء الأنبياء استجيب بالتَّوسُّل والاستشفاع بهم صلوات الله وسلامه عليهم».

وهم يدعون إلى الاستغاثة بالأئمَّة فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله، وجعلوا لكلِّ إمام وظيفةً يختصُّ بها يستغيثون به لأجلها، «...أمَّا عليُّ ابن الحسين فللنَّجاة من السَّلاطين ونفث الشَّياطين، وأمَّا محمَّد ابن علي وجعفر بن محمَّد فللآخرة وما تبتغيه من طاعة الله، وأمَّا موسى ابن جعفر فالتمس به العافية من الله...»[10].

بل قرَّر المجلسي ـ صاحب «بحار الأنوار» ـ أنَّ الأئمَّة هم الشِّفاء الأكبر والدَّواء الأعظم لمن استشفى بهم، وهذا ليس عند متقدِّميهم فحسب، بل حتَّى عند متأخِّريهم، من مثل داعيتهم الهالك الخميني، حيث جاء في كتابه «كشف الأسرار» فصل بعنوان: طلب الحاجة من

(8) (194/15).
(9) (94/22).
(10) «بحار الأنوار» (94/33).

الأموات: «...إنَّ الشِّرك هو طلب شيء من أحدٍ غير الله باعتبار أنَّه ربٌّ، وما عدا ذلك فليس شركًا، ولا فرق في ذلك بين الحيِّ والميِّت، حتَّى إنَّ طلب الحاجة من الحجر والمدر ليس شركًا، وإن كان عملاً لغوًا باطلاً»، يعني أنَّ عبادة غير الله لا بأس بها ما دام العابد لهذه الأحجار لا يعتقد أنَّها ربٌّ.

❐ أمَّا شركهم في القبور والأضرحة، فهو أصل دينهم الَّذي يتقرَّبون به ويعظِّمون.

جاء في «الكافي» وغيره: «إنَّ زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجَّة، وأفضل من عشرين عمرة وحجَّة»[11].

بل إنَّ تعظيمهم المشاهد والقبور أعظم من تعظيمهم لبيوت الله الَّتي هي أشرف البقاع في الأرض، وأحبُّ الأماكن إلى الله.

يقول النَّدوي عن أحد المشاهد في إيران؛ مشهد علي الرِّضا: «فإذا دخل غريب لم يشعر إلاَّ وأنَّه داخل الحرم... فهو غاصٌّ بالحجيج، مدوي بالبكاء والضَّجيج، عامر بالرِّجال والنِّساء، وقد تدفَّقت إليه ثروة الأثرياء وتبرُّعات الفقراء، أمَّا المساجد فهي تشكو قلَّة المصلِّين وزهد القاصدين»[12].

بل ومن ضلالاتهم عند هذه المشاهد والمزارات ما يقع من أنواع الشُّرور والمنكرات، حتَّى قال أحدهم منكِرًا عليهم: «ناهيك عن الأعمال المخالفة للشَّرع والأدب والَّتي نشاهدها بأمِّ أعيينا تمارس وبالمكشوف عند مراقد الأولياء... أيعقل أنَّ هذا هو منهج أهل البيت؟!»، «ألسنا نخشع ونبكي عند الأضرحة والمقامات أكثر من خشوعنا وبكائنا، ونحن في حضرة الله في بيوته ومساجده، أو عند

(11) (324/1).
(12) «مجلَّة الاعتصام» (عدد 3/سنة 41).



قراءة كتابه والاستماع إلى كلامه»[13].

### أما عقيدتهم في باب الأسماء والصفات:

فقد جمعوا فيها بين الشَّرَّين؛ شرِّ التَّجسيم وشرِّ التَّعطيل، فمتقدِّموهم كانوا مجسِّمةً، ومتأخِّروهم قالوا بالتَّعطيل، «إنَّ أوائل الشِّيعة كانوا مجسِّمة، إلاَّ أنَّه عدل عنه قوم من متأخِّريهم إلى التَّعطيل»[14].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة[15]:

«أمَّا الرَّافضة فلم يكن في قدمائهم من يقول بنفي الصِّفات، بل كان الغلوُّ في التَّجسيم مشهورًا عن شيوخهم هشام بن الحكم وأمثاله».

ومن ضلالاتهم الشَّنيعة، الَّتي كانت سببًا في وقوعهم في حمأة الشِّرك بالله، بل وغرقهم فيها: غلوُّهم في أئمَّتهم غلوًّا أخرجهم عن الاعتقاد في بشريَّتهم إلى اعتقاد صفات الألوهيَّة فيهم، حتَّى إنَّهم صرفوا لهم أنواعًا من العبادة لا تجوز إلاَّ لله، وأوَّل الغالين في هذا شيطانهم الأوَّل - ابن سبأ - حيث زعم أنَّ أمير المؤمنين عليًّا Ê هو الله - تعالى عن ذلك - حين قال: نعم؛ أنت هو، وقد كان ألقي في روعي أنَّك أنت الله[16].

ثمَّ تبعه على هذا الزَّيغ والضَّلال شيعته، حيث ادَّعوا أنَّ أئمَّتهم يعلمون الغيب، بل اشترطوا في الإمام أن يكون عالمًا بالغيب، وأن يعلم ذلك من جهة الإلهام[17].

(13) «سياحة في عالم التَّشيُّع» (26).
(14) «مقالات الإسلاميِّين» (106/1).
(15) «الأصفهانيَّة» (92).
(16) «عيون الأخبار» (160/2).
(17) «اختيار ومعرفة الرِّجال» (323).



وقال صاحب «مشارق أنوار اليقين في أسرار المؤمنين» (68): «وكيف لا يطَّلعون على الغيب وعلمه واجب لهم من وجوه، أهمُّها عندهم: أنَّ الله سبحانه سطَّر في اللَّوح المحفوظ علم ما كان وما يكون، ثمَّ أبرز إلى كلِّ نبيٍّ منهم ما يكون له ولأوصيائه إلى ظهور الشَّريعة... فوجب أن يكون عندهم ما سبق وما لحق إلى يوم القيامة».

وروى المجلسي[18] عن أبي جعفر أنَّه قال: «الله أجلُّ وأعزُّ وأعظم وأكرم من أن يفرض طاعة من يحجب عنه علم سمائه وأرضه - يعني به الغيب .... لا يحجب ذلك عنه»، وعلى هذه العقيدة الباطلة سار متأخِّروهم كالخميني وغيره.

❐ ❐ ❐

فهذا غيضٌ من فيض باطلهم وشركيَّاتهم، وإلاَّ فإنَّ مصادرهم مليئةٌ بهذه الشُّرور، بل لا تكاد تمرُّ على بابٍ من أبواب العقيدة إلاَّ وجدتَّ من الزَّيف والانحراف والتَّلبيس والإضلال الشَّيءَ الكثير.

لذا فقد دأب علماؤنا وأئمَّتنا قديمًا وحديثًا على فضح شبهاتهم ودفع باطلهم نصحًا للمسلمين.

قال ابن القيِّم[19]:

«فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفةً تفصيليَّةً، وسبيل المجرمين معرفةً تفصيليَّة، فاستبانت لهم السَّبيلان، كما يستبين للسَّالك الطَّريق الموصل إلى مقصوده، والطَّريق الموصل إلى الهلكة، فهؤلاء أعلم الخلق، وأنفعهم للنَّاس، وأنصحهم لهم، وهم الأدلاَّء الهداة».

(18) «بحار الأنور» (110/26).
(19) «الفوائد» (163).



سلسلة مطويات الفضيلة (16)

# التركيات في عقائد الشيعة

الشيخ
أزهـــر سنيقرة
إمام أستاذ-الجزائر